الجامعة المستنصرية – كلية الآداب

قسم اللغة العربية / المرحلة الثانية

د. عباس رحيم عزيز

مادة الأدب الجاهلي

المحاضرة التاسعة

زهير بن أبي سلمى:

وقد عرف زهير بن أبي سلمى من أصحاب الحوليات.

روى ابن جني أن زهيرا عمل سبع قصائد في سبع سنين، وأنها كانت تسمى حوليات زهير.

وروى ابن قتيبة أن زهيرا نفسه كان يسمي قصائده الكبرى الحوليات.

وقد قيل: انه كان يعمل القصيدة في أربعة أشهر، وينقحها في أربعة أشهر، ثم يعرضها في أربعة أشهر، ثم بعد ذلك يخرجها إلى الناس.

ويرى ابن رشيق أن قترة نظم القصائد لم تكن تستغرق من زهير هذه المدة الطويلة، فهو في رأيه ينظم القصيدة في ساعة، أو ليلة، ولكنه يؤخرها عنده من اجل التنقيح والتهذيب خشية النقد.

وهذا الشعر المنقح يفضله بعض الناس على غيره من الشعر لخلوه من المآخذ، بينما ينضر اليه آخرون على انه شعر متكلف، لم يأت عن إسماح وطبع؛ فالحطيئة، وهو تلميذ زهير وشريكه في الصنعة، يقول: "خير الشعر الحولي المنقح المحكك". أما الأصمعي فأنه يقول: زهير بن أبي سلمى والحطيئة وأشباههما عبيد الشعر، وكذلك كل من جود في جميع شعره، ووقف عند كل بيت قاله، وأعاد النظر حتى يخرج ابيات القصيدة كلها مستوية في الجودة.

ويصف ابن قتيبة الشاعر الذي ينقح شعره بأنه شاعر متكلف، ويقول عن الشعر المتكلف: "انه وان كان جيدا محكما فليس به خفاء على ذوي العلم لتبينهم فيه ما نزل بصاحبه من طول التفكير، وشدة العناء، ورشح الجبين" لا نعرف شاعرا آخر غير زهير تمكث القصيدة عنده حولا كاملا بحيث يمكن أن يعد من شعراء الحوليات.

نحن بإزاء شاعر مميز، عاش للشعر يرويه، أو بعبارة أخرى نحن بإزاء مدرسة يتضح فيها زهير وتلميذاه كعب والحطيئة.

معلقة زُهير بن أبي سُلمى

**أَمِنْ أُمِّ أَوْفَى دِمْنَـةٌ لَمْ تَكَلَّــــــــمِ بِحَـوْمَانَةِ الـدُّرَّاجِ فَالمُتَثَلَّــــــــمِ**

**وَدَارٌ لَهَـا بِالرَّقْمَتَيْـنِ كَأَنَّهَـــــــا مَرَاجِيْعُ وَشْمٍ فِي نَوَاشِرِ مِعْصَـمِ**

**بِهَا العِيْنُ وَالأَرْآمُ يَمْشِينَ خِلْفَـةً وَأَطْلاؤُهَا يَنْهَضْنَ مِنْ كُلِّ مَجْثَمِ**

**وَقَفْتُ بِهَا مِنْ بَعْدِ عِشْرِينَ حِجَّةً فَـلأيَاً عَرَفْتُ الدَّارَ بَعْدَ تَوَهُّـــــمِ**

**أَثَـافِيَ سُفْعاً فِي مُعَرَّسِ مِرْجَــــــلِ وَنُـؤْياً كَجِذْمِ الحَوْضِ لَمْ يَتَثَلَّــــمِ**

**فَلَـمَّا عَرَفْتُ الدَّارَ قُلْتُ لِرَبْعِهَــــــا أَلاَ أَنْعِمْ صَبَاحاً أَيُّهَا الرَّبْعُ وَاسْلَـمِ**

**تَبَصَّرْ خَلِيْلِي هَلْ تَرَى مِنْ ظَعَائِـن تَحَمَّلْـنَ بِالْعَلْيَاءِ مِنْ فَوْقِ جُرْثُـــمِ**

**جَعَلْـنَ القَنَانَ عَنْ يَمِينٍ وَحَزْنَـــــهُ وَكَـمْ بِالقَنَانِ مِنْ مُحِلٍّ وَمُحْــــرِمِ**

وإذا أخذنا نستعرض شعر زهير وجدناه ينظم في المديح والغزل والهجاء ووصف الصيد، وفي تضاعيف ذلك يجنح إلى الحكم ووصف مكارم الأخلاق، وتلمع بين مدائح زهير معلقته، وقد نضمها مشيدا بابن سنان والحارث بن عوف حين سعيا بالصلح بين ذبيان وعبس فأعلنا انهما يتحملان ديات القتلى حتى تضع الحرب أوزارها بين القبيلتين المتناحرتين، ونرى كيف يشيد زهير بهذه المكرمة العظيمة إذ يقول:

**فَأَقْسَمْتُ بِالْبَيْتِ الذِّي طَافَ حَوْلَهُ رِجَـالٌ بَنَوْهُ مِنْ قُرَيْشٍ وَجُرْهُـمِ**

**يَمِينـاً لَنِعْمَ السَّـيِّدَانِ وُجِدْتُمَـا عَلَى كُلِّ حَالٍ مِنْ سَحِيْلٍ وَمُبْـرَمِ**

**تَدَارَكْتُـمَا عَبْسًا وَذُبْيَانَ بَعْدَمَـا تَفَـانَوْا وَدَقُّوا بَيْنَهُمْ عِطْرَ مَنْشَـمِ**

**وَقَدْ قُلْتُمَا إِنْ نُدْرِكِ السِّلْمَ وَاسِعـاً بِمَالٍ وَمَعْرُوفٍ مِنَ القَوْلِ نَسْلَـمِ**

**فَأَصْبَحْتُمَا مِنْهَا عَلَى خَيْرِ مَوْطِـنٍ بَعِيـدَيْنِ فِيْهَا مِنْ عُقُوقٍ وَمَأْثَـمِ**

**عَظِيمَيْـنِ فِي عُلْيَا مَعَدٍّ هُدِيْتُمَـا وَمَنْ يَسْتَبِحْ كَنْزاً مِنَ المَجْدِ يَعْظُـمِ**

**تُعَفِّـى الكُلُومُ بِالمِئينَ فَأَصْبَحَـتْ يُنَجِّمُهَـا مَنْ لَيْسَ فِيْهَا بِمُجْـرِمِ**

**يُنَجِّمُهَـا قَـوْمٌ لِقَـوْمٍ غَرَامَـةً وَلَـمْ يَهَرِيقُوا بَيْنَهُمْ مِلْءَ مِحْجَـمِ**

**فَأَصْبَحَ يَجْرِي فِيْهِمُ مِنْ تِلاَدِكُـمْ مَغَـانِمُ شَتَّـى مِنْ إِفَـالٍ مُزَنَّـمِ**

**أَلاَ أَبْلِـغِ الأَحْلاَفَ عَنِّى رِسَالَـةً وَذُبْيَـانَ هَلْ أَقْسَمْتُمُ كُلَّ مُقْسَـمِ**

**فَـلاَ تَكْتُمُنَّ اللهَ مَا فِي نُفُوسِكُـمْ لِيَخْفَـى وَمَهْمَـا يُكْتَمِ اللهُ يَعْلَـمِ**

**يُؤَخَّـرْ فَيُوضَعْ فِي كِتَابٍ فَيُدَّخَـرْ لِيَـوْمِ الحِسَـابِ أَوْ يُعَجَّلْ فَيُنْقَـمِ**

**وَمَا الحَـرْبُ إِلاَّ مَا عَلِمْتُمْ وَذُقْتُـمُ وَمَا هُـوَ عَنْهَا بِالحَـدِيثِ المُرَجَّـمِ**

**مَتَـى تَبْعَـثُوهَا تَبْعَـثُوهَا ذَمِيْمَـةً وَتَضْـرَ إِذَا ضَرَّيْتُمُـوهَا فَتَضْـرَمِ**

**فَتَعْـرُكُكُمْ عَرْكَ الرَّحَى بِثِفَالِهَـا وَتَلْقَـحْ كِشَـافاً ثُمَّ تُنْتَجْ فَتُتْئِـمِ**

**فَتُنْتِـجْ لَكُمْ غِلْمَانَ أَشْأَمَ كُلُّهُـمْ كَأَحْمَـرِ عَادٍ ثُمَّ تُرْضِـعْ فَتَفْطِـمِ**

**فَتُغْـلِلْ لَكُمْ مَا لاَ تُغِـلُّ لأَهْلِهَـا قُـرَىً بِالْعِـرَاقِ مِنْ قَفِيْزٍ وَدِرْهَـمِ**

**لَعَمْـرِي لَنِعْمَ الحَـيِّ جَرَّ عَلَيْهِـمُ بِمَا لاَ يُؤَاتِيْهِم حُصَيْنُ بْنُ ضَمْضَـمِ**

يصور الحرب في صورة مخيفة قبيحة، هي تارة أسد ضار، وتارة نار مشتعلة، وتارة رحى تطحن الناس، وتارة تلد ذرارى، وهو بذلك يدعوا إلى الإسلام وان يتحول العرب من هذه الحرب وإلى الحياة الآمنة التي تنشر المحبة والرحمة.

وإذا أخذنا نقرا أشعاره نلمح فيها حكم كثيرة، ينثرها خلال الموضوعات المختلفة، ليقدم من خلال شعرة شاعر من طراز ممتاز له نظرته في الحياة، يتقن صناعة الشعر وأساليبه، ويرسم أجمل الصور ويحسن تنسيقها حتى تتراءى كأنها عقود من الجواهر، وهذا ما نلمح في قوله:

**سَئِمْـتُ تَكَالِيْفَ الحَيَاةِ وَمَنْ يَعِـشُ ثَمَانِيـنَ حَـوْلاً لا أَبَا لَكَ يَسْـأَمِ**

**وأَعْلـَمُ مَا فِي الْيَوْمِ وَالأَمْسِ قَبْلَـهُ وَلكِنَّنِـي عَنْ عِلْمِ مَا فِي غَدٍ عَـمِ**

**رأَيْتُ المَنَايَا خَبْطَ عَشْوَاءَ مَنْ تُصِبْ تُمِـتْهُ وَمَنْ تُخْطِىء يُعَمَّـرْ فَيَهْـرَمِ**

**وَمَنْ لَمْ يُصَـانِعْ فِي أُمُـورٍ كَثِيـرَةٍ يُضَـرَّسْ بِأَنْيَـابٍ وَيُوْطَأ بِمَنْسِـمِ**

**وَمَنْ يَجْعَلِ المَعْروفَ مِنْ دُونِ عِرْضِهِ يَفِـرْهُ وَمَنْ لا يَتَّقِ الشَّتْـمَ يُشْتَـمِ**

**وَمَنْ يَكُ ذَا فَضْـلٍ فَيَبْخَلْ بِفَضْلِـهِ عَلَى قَوْمِهِ يُسْتَغْـنَ عَنْـهُ وَيُذْمَـمِ**

**وَمَنْ يُوْفِ لا يُذْمَمْ وَمَنْ يُهْدَ قَلْبُـهُ إِلَـى مُطْمَئِـنِّ البِرِّ لا يَتَجَمْجَـمِ**

**وَمَنْ هَابَ أَسْـبَابَ المَنَايَا يَنَلْنَـهُ وَإِنْ يَرْقَ أَسْـبَابَ السَّمَاءِ بِسُلَّـمِ**

**وَمَنْ يَجْعَلِ المَعْرُوفَ فِي غَيْرِ أَهْلِـهِ يَكُـنْ حَمْـدُهُ ذَماً عَلَيْهِ وَيَنْـدَمِ**

**وَمَنْ يَعْصِ أَطْـرَافَ الزُّجَاجِ فَإِنَّـهُ يُطِيـعُ العَوَالِي رُكِّبَتْ كُلَّ لَهْـذَمِ**

**وَمَنْ لَمْ يَذُدْ عَنْ حَوْضِهِ بِسِلاحِـهِ يُهَـدَّمْ وَمَنْ لا يَظْلِمْ النَّاسَ يُظْلَـمِ**

**وَمَنْ يَغْتَرِبْ يَحْسَبْ عَدُواً صَدِيقَـهُ وَمَنْ لَم يُكَـرِّمْ نَفْسَـهُ لَم يُكَـرَّمِ**

**وَمَهْمَا تَكُنْ عِنْدَ امْرِئٍ مَنْ خَلِيقَـةٍ وَإِنْ خَالَهَا تَخْفَى عَلَى النَّاسِ تُعْلَـمِ**

**وَكَاءٍ تَرَى مِنْ صَامِتٍ لَكَ مُعْجِـبٍ زِيَـادَتُهُ أَو نَقْصُـهُ فِـي التَّكَلُّـمِ**

**لِسَانُ الفَتَى نِصْفٌ وَنِصْفٌ فُـؤَادُهُ فَلَمْ يَبْـقَ إَلا صُورَةُ اللَّحْمِ وَالـدَّمِ**